

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة الرعاية والضمان الإجتماعي
اللجنة العليا للمسئولية الاجتماعية



بالتعاون مع مركز الجندوب للاستشارات الاقتصادية والمالية

المؤتمر الرابع للمسئولية الاجتماعية

في الفترة (١٢-١٣ مارس) ٢٠١٤م

قاعة الصداقة - الخرطوم

ورقة بعنوان:

بخت الرضا تعزز المسئولية الاجتماعية

إعداد وتقديم :

حسين الخليفة الحسن
خبير تربوي/ المنتدى التربوي السوداني

خلفية:

مرّ السودان عبر تاريخه الموعغل فى القدم بتحويلات حضارية متعددة، وكان تيار الحضارة الاسلامية هو السائد والمؤثر الفعال والمباشر والذى بدأت إنطلاقته بدخول العرب فى السودان، فتوثقت علاقته بالعالم الاسلامى ثم إنبثق نور أنظمة حكم إسلامية فى سنار وكردفان ودارفور. كما قامت الخلاوى لتثبيت دعائم الإسلام وذلك فى مطلع عهد السلطنة الزرقاء وأطلق على ذلك النوع من التعليم: التعليم غير النظامى وأعقبه التعليم النظامى فى العهد التركى والذى توطدت ركائزه فى عهد الحكم الثنائى (بريطانى مصرى) وكان هدفه للإعداد الوظيفى للدولة وايجاد طبقة من الصناع المهرة فشيدت المدارس وفاءً لهذا الهدف.

فى عام ١٩٣٤ حدثت الانطلاقة الكبرى بقيام معهد التربية ببخت الرضا الذى جاء بناءً على توصيات المستر ج. س سكوت المفتش الأول للتعليم والتى تهدف لإصلاح التعليم بالسودان برفع مستوى التعليم الأولى بالسودان وكان هدفه:

أولاً: لتدريب مدرسى المدارس الأولية.

ثانياً: لوضع مقررات وكتب التلاميذ ومرشد المعلمين.

ثالثاً: تنظيم دورات تدريبية للمعلمين الذين لم يتلقوا تدريباً ببخت الرضا.

رابعاً: تزييف التعليم الأولى.

وثمة هدف آخر كان من إهتمام بخت الرضا هو تعليم الكبار وإنشاء أندية الصبيان لمن فاتهم قطار المعرفة إسهاماً منها فى تنمية المجتمعات المحلية ورعاية الشباب الذين تعثرت خطاهم عن مواصلة تحصيلهم الأكاديمى بالمدارس النظامية آنذاك.

تعليم الكبار:

بعد ان تحمل معهد بخت الرضا مسؤولية تعليم وتدريب المعلمين وتعليم الصغار إلتفت بعد ذلك بل بدأ بتجارب أولية لتعليم الكبار وحتى تشارك هذه الفئة فى تنمية المجتمع وترقيته. فقامت تجربة تعليم الكبار ومحو الأمية بجزيرة ام جر جنوب مدينة الدويم عام ١٩٤٤ .. وتولت بخت الرضا

مسئوليتها الاجتماعية بتقديم تجارب تعليم الكبار ومحو الامية والتي تهدف وتنهض بالأهداف التالية:

أولاً: لاشراك شريحة مجتمعية هامة لم تتل قسطاً من التعليم لظروف خاصة فى تنمية وترقية المجتمع المحيط بها.

ثانياً: تأصيل وتركيز دعائم الحضارة الاسلامية والثقافة العربية والافريقية.

ثالثاً: التدريب على مهارات العمل بما ييسر سبل المعيشة او يخفف المعاناة والحد من الفقر.

هذا وقد قامت بخت الرضا بوضع التجارب والبرامج لهذا الضرب من التعليم وهدفها هو تنمية المجتمع فى المناطق الريفية وأول من قام بالتجربة الهامة الاستاذ مكى عباس من مؤسسى بخت الرضا وعمل بجانيه الاساتذة: محمد عمر محمد وبانقا الامين وحسن احمد يوسف ومحجوب أبشر. وبمرور السنين تخرج العديد من الرجال والنساء الذين كان لهم القدح المعلى فى تطوير وترقية المجتمع السودانى.

بخت الرضا والوحدة الوطنية:

أسهمت بخت الرضا فى إرساء دعائم الوحدة الوطنية وبرزت فى مناهجها اناشيد عاشت فى وجدان كل من تتلمذوا على مناهجها ونذكر من هذه الأناشيد:

نشيد صديقنا منقو للشاعر المعلم عبد اللطيف عبد الرحمن:

أنت سودانى وسودانى أنا

ضمنا الوادى فمن يفصلنا

نحن روحان حللنا بدنا

منقو قل لا عاش من يفصلنا

فقد كانت بخت الرضا بوتقة لانصهار أبناء السودان من مختلف جهاتهم واعراقهم. فالطلاب يفدون إليها من كل صوب وحذب وهم يحملون عاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم وكل ما يميز ثقافتهم المحلية ويلتقون جميعاً فى الداخليات وبين الفصول والميادين والحقول والمعسكرات والرحلات والأعياد. فهم يلتقون مندمجين كأفراد أسرة واحدة، فتزول الفوارق بينهم وتتقارب الشقة، فتتلاقح الثقافات وتتم عملية تبادل الخبرات أخذاً وعطاء. هذا التلاقح أثمر مواطناً سودانياً

متشرباً بروح الوحدة الوطنية لخلق المجتمع المتماسك المنشود الذى أزال غلواء القبلية والجهوية والتي ذابت بعد أن كان يتمسك بها الناس.

عندما خرج هؤلاء الطلاب الى حقل التدريس منتشرين فى بقاع السودان المختلفة حملوا معهم الألفة التى نموها فى مجتمع بخت الرضا ولم يحس الواحد منهم بأنه غريب على من يدرسهم فعلاً ان أولئك الطلاب قد غرسوا فى نفوس النشء حب الوطن نابذين كل قبلية و جهوية مبشرين بالوحدة الوطنية والمجتمع الواحد والمتماسك وعلى مستوى العالم العربى والعالم الافريقى فقد تلقى عدد من طلاب بعض هذه الدول العربية والافريقية تعليمهم ببخت الرضا وهذا مما جعل لبخت الرضا الدور الرائد فى بناء علائق وثيقة بين القوميتين العربية والافريقية. كما ساهمت فى إرساء قواعد مجتمع حضارى مستنير وقد ظل خريجو بخت الرضا من تلك الدول يكون لها الحب ويذكرونها بالخير كما ظلوا على صلة وثيقة بها خلال خطاب بخت الرضا ومجلتها ذائعة الصيت. كان بعض هؤلاء يحرصون على زيارة بخت الرضا ومتابعة اخبارها والحصول على ما يتيسر من انتاجها التربوى الثرى.

والجدير بالذكر أن الكثيرين من هؤلاء ومن خريجي بخت الرضا قد تقلدوا مناصب رفيعة فى بلدانهم وأفادوا مجتمعاتهم وقدموا له كل ما نهلوه من خلق وسلوك قويم ببخت الرضا، فهكذا امتد عطاء بخت الرضا لاصلاح المجتمع لخارج السودان. كما وضع هؤلاء الخريجون لبنات متينة فى صروح التأخى والود بين السودان وتلك الدول.

معلمو بخت الرضا :

وقال الفكى عبد الرحمن — المسرحى المعروف — فى كتابه يا ما كان الذى كتب قائلاً:
احتاج البلد للأوائل فكان هؤلاء وكلهم نهلوا من معين بخت الرضا:

- | | |
|---------------------------------|----------------------|
| أول وزير سودانى للمعارف | ١. عبد الرحمن على طه |
| أول مدير سودانى لجامعة الخرطوم | ٢. نصر الحاج على |
| أول محافظ سودانى لمشروع الجزيرة | ٣. مكى عباس |
| أول مدير للرعاية الاجتماعية | ٤. محمد احمد عمر |
| أول أمين عام لمجلس الوزراء | ٥. عبد الرحيم الأمين |
| أول مدير لتعليم الكبار | ٦. محجوب أبشر |
| أول مدير للبروتكول | ٧. حسين محمد كمال |

٨. عبد الوهاب موسى أول رئيس لاتحاد المخترعين السودانيين
٩. هاشم ضيف الله أول مدير لأول معهد للتربية البدنية
١٠. بسطاوى بغدادى أول مدير لكلية الفنون الجميلة

وكانت الصبيان
وكان الفكى عبد الرحمن
وكان محمد المرضى التجانى
أول مجلة للأطفال فى العالم العربى
أول مدير لأول مؤسسة مسرحية
أول سودانى تقلد منصب رئيس منظمة السكر العالمية

فهذه النخبة والعقد الفريد من الرجال انجبتهم بخت الرضا فقدموا عصارة جهدهم لوطنهم الغالى والنفيس.

ألم أقل لكم ان لبخت الرضا دور رائد فى بعث الروح فى المسئولية الاجتماعية؟ بل بادرت بانطلاقها وتعزيزها ونشرها داخل وخارج السودان.

نادى الصبيان:

من أهداف بخت الرضا الهامة هى صناعة الإنسان وصقله واعاداه ليصبح عضواً فاعلاً مؤثراً ومشاركاً فى تنمية وترقية المجتمع ولذلك كان إهتمام بخت الرضا زائداً بشريحة مجتمعية لم تتمكن من مواصلة دراستها، بعد المدرسة الأولية لأسباب شخصية وغيرها ولذلك وحتى يتسنى لهذه الشريحة المساهمة والمشاركة فى الشأن المجتمعى ولتحقيق هذا الغرض التربوى السامى أقامت بخت الرضا داراً بمدينة الدويم تضم هذه الشريحة وخصص لها احد رجال التربية ليقوم برعايتها ومراقبتها كما وضع لها برنامج تربوى تعليمى وبجانب ذلك يتعلم أفراد هذه الشريحة صناعات مختلفة: حدادة، برادة، بناء كما تعلم بعضهم فنون استعمال الآلات الموسيقية وبرع آخرون فى العمل المسرحى. وقدمت هذه المجموعة عدة مسرحيات جابت عدة مدن كبرى بالسودان لعرضها. وبنجاح تجربة نادى الصبيان بالدويم عممت فى بعض مدن السودان وهكذا تكون بخت الرضا قد ساهمت فى تقليل عددية الفاقد التربوى وأوفت ما وعدت للمجتمع.

والجدير بالذكر ان هذه الشريحة المجتمعية التى زاولت دراساتها المفقودة بنادى الصبيان أفادت المجتمع بتقديم أنشطتها العملية لمجتمعها الصغير ووجدت مهنة تكسب منها العيش الحلال .

المسكرات :

درجت بخت الرضا على قيام رحلات ونعنى معسكرات لمعلمى المدارس الأولية آنذاك وكانت تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الاعداد الكامل للمعلم للانسجام مع المجتمع الريفي يومذاك وكان الهدف من هذه المعسكرات هو غرس صفات الصبر وقوة الاحتمال والاعتماد على النفس والعمل الدعوب والمثابرة فى نفوس المعلمين ليصبحوا أعضاء فاعلين فى المجتمع، وقد نجحت هذه التجربة إيما نجاح حتى صار المعلم يومذاك قائداً للمجتمع المحلى (The Leader of the Community) فهو خطيب وامام المسجد وهو رجل الوفاق الاول لفك النزاعات القبلية والاسرية فكان دائماً يعتلى المنابر ويتحدث إنابة عن أفراد المجتمع – فيصبح عضواً مفيداً ومشاركاً فى تنمية مجتمعه. وهكذا يكون لبخت الرضا اليد الطولى فى تطوير وتماسك المجتمع الريفي.

عيد بخت الرضا:

درجت بخت الرضا على الاحتفال بعيدها السنوى فى أعقاب شهر أكتوبر من كل عام. بجانب تخليد هذه المناسبة كان العيد بمثابة درساً تربوياً هاماً قصد منه إعداد الطالب/المعلم إعداداً تربوياً وأخلاقياً. فكان الطلاب/المعلمون هم الذين يعدون ميزانية العيد ويجهزون فقرات الاحتفال ويقدمون الدعوات لأفراد المجتمع .. كان العيد تجربة رائدة لبناء شخصية الفرد وليغرس فى نفسه صفات الانضباط وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس حتى يفيد مجتمعه مستقبلاً. كما كان العيد هو وسيلة لتقوية وتمتين الصلة بين المعهد والمجتمع الذى حوله وذلك لمشاركة أفراد المجتمع الريفي والحضرى بحضورهم وكذلك مشاركتهم فى بعض فقرات الاحتفال.. وكان سكان مدينة الدويم يتطلعون دائماً لهذه المناسبة التربوية الهامة وكانت الأيام الثلاثة للعيد عطلة للعاملين بمرافق الدولة بالدويم ويشارك تجار المدينة بمساهماتهم النقدية والعينية ومشاركتهم بحضور فقرات الاحتفال وكانت الغبطة تملأ جوانحهم. كما كان العيد دوحة وارفة يستظل بها كل عشاق العلم والمعرفة بمجتمع الدويم .. يشارك عدد من صبية الدويم فى المسرحيات التى تقدم فى العيد وتشبع أهل الدويم دون غيرهم بذخيرة من الثقافة والعلم والابداع فبرع بينهم العديد من الأدباء والفنانين والمسرحيين. كما كانت بخت الرضا تقدم ضمن فقرات العيد المحاضرات والندوات الثقافية بدور الاندية بالدويم (نادى العمال/نادى الموظفين) وكان يعتلى منابر تلك الأندية افاض التربويين والمتقنين أمثال بروفيسر عبد الله الطيب – د. احمد الطيب احمد أول سودانى ينال دكتوراه فى فن المسرح – عبد الرحمن على طه اول وزير سودانى للمعارف – سر الختم الخليفة. فكانت منابر مدينة الدويم تعج بالأدباء ورجال الثقافة الشئ الذى كان له اطيب الأثر فى أن يصبح أبناء

الدويم من الرموز الوطنية التي يشار لها بالبنان وأطلق على مدينة الدويم مدينة العلم والنور. فهذا السيل المعرفى الثقافى المندفع من بخت الرضا أفرز شعراء لهم باع فى إثراء الثقافة السودانية ونذكر من هؤلاء الشاعر عمران العاقب/ فاروق سلمان / التجانى حاج موسى/ عبد القادر ود الاذان/ فكلهم من أبناء بخت الرضا قدمهم للمجتمع السودانى.

رجال أنجبتهم بخت الرضا:

كان هم وهاجس بخت الرضا هو الوفاء للسودان بما تستطيع وفى مجال تعليمها للفرد ولهذا كرست جهودها أن تعد خيرة المعلمين ليوجهوا المجتمع الحضرى والريفى. تخرج فى روافدها نجباء فى شتى مجالات العلم والمعرفة والأدب وقدمتهم للمجتمع السودانى ونهضوا به فكانوا قدوة تحتذى. المجال لن يسع لذلك العدد الهائل الذى أنجبته بخت الرضا من نجباء المعلمين وأبنائها الافذاذ الذين علمتهم بروافدها رسم الحرف ونطق الكلمة.

معلمون من بخت الرضا:

أمثلة فقط:

١. سر الختم الخليفة
٢. أحمد الطيب احمد
٣. د. عبد الله الطيب
٤. عوض ساتى
- رئيس حكومة اكتوبر ١٩٦٤
- (أول دكتوراة فى المسرح)
- (الأديب المعروف)
- (أول سفير سودانى ببريطانيا)

طلاب تخرجوا من مدرسة الدويم الريفية (من روافد بخت الرضا):

تبوأوا مناصب رسمية ومجتمعية رفيعة بالسودان فهم خير ما قدمته بخت الرضا للسودان وهم:

١. ابراهيم منعم منصور
٢. ابراهيم نايل إيدام
٣. الشريف المكى عساكر
٤. ابراهيم دريج
٥. بروفيسر محجوب عبيد
٦. بروفيسر فاروق هبانى
- عالم الفيزياء
- عالم الذرة

٧. بروفيسر عبد الرحمن محمد موسى

٨. بروفيسر ابراهيم غندور

٩. د. عبد الحليم اسماعيل المتعافى

١٠. د. الطيب زين العابدين

١١. د. الطيب حاج عطية

١٢. د. خليل عثمان محمود

وآخرون

مدرسة الدويم الريفية الوسطى:

هى إحدى روافد معهد بخت الرضا – تأسست عام ١٩٠٨ وتعتبر يومذاك مدرسة أنموذج وشاملة بمعنى الكلمة فكانت بجانب ما تقدمه للطالب من حصيلة أكاديمية كانت تعده إعداداً كاملاً ليشارك فى المجتمع فكانت الجمعيات العملية المختلفة (الصحة/ الاصلاحات/ الحدائق/ الموسيقى/ الزراعة)، الطالب ينخرط فى الجمعية التى تناسب موهبته فكان لكل جمعية مجلس من الطلاب يقرر ما يريد دون تدخل المعلمين او ادارة المدرسة فهذا المجلس يضع الميزانية لتعرض على الجمعية العمومية لتلك الجمعية للتداول والتفاكر ثم تتم اجازتها بعد التعديل (قصة الحاوى) فهذه الجمعيات غرست فى الطالب صفات تربوية و اخلاقية و ادارية عديدة ساعدتهم فى مجابهة حياتهم العملية فقدموا للسودان وللمجتمع أعمالاً جلييلة.

وهكذا كانت بخت الرضا وروافدها تتحكم مباشرة فى تغيير سلوك الفرد للأحسن وقد حققت نجاحاً منقطع النظير فى هذا المجال.

مجلة بخت الرضا:

لقد إمتد أثر بخت الرضا العلمى الثقافى والتربوى والتعليمى خارج حدودها وكانت مجلة بخت الرضا أحد وسائل هذا الامتداد بما تجود به من افكار ورؤى لاساتذتها الأفذاذ مما كان ذا فائدة عظيمة للمجتمع السودانى يومذاك.

فكانت المجلة تحمل كل ما يتعلق بالتربية والتعليم والنظريات التعليمية وفلسفة التربية، كان الجميع يتوقون لاقتنائها لفائدتها الثرة.

بخت الرضا ومجتمع الجنوب :

عندما كان الجنوب جزءاً لا يتجزأ من الوطن الحبيب لم تغفله بخت الرضا فنهل من معينها الثر فقدمت له خيرة معلميها لبث المعرفة بين ربوعه.. فانتدبت استاذ الاجيال سر الختم الخليفة أحد بناء بخت الرضا للعمل بالجنوب وتحديد مهمته بادخال اللغة العربية فى مدارس الجنوب. بدأ مهمته العسيرة رغم شح الامكانيات والظروف السياسية والاجتماعية والقبلية والدينية الحرجة التى هبت رياحها فى شتى بقاع الجنوب ولكن بحكمة وحنكة الاستاذ سر الختم قد نجحت المهمة وأصبحت لبخت الرضا صلة وثيقة بالجنوب حيث فتحت المجال لتدريب معلمى الجنوب ببخت الرضا متشبعوا بافكارها وعادوا محملين بافكار قيمة ومفيدة ساعدتهم كثيراً فى النهوض بمجتمعاتهم التى لم تألف هذه النقلة الحضارية التى جاءت لهم بها بخت الرضا وكان لها الأثر البالغ فى الوعى المجتمعى الذى ساد.

وهكذا اخترقت اللغة العربية مجموعة اللهجات المتداولة بالجنوب مما وحد بين بعض القبائل وصارت لغة محببة لها أثرها الواضح فى النهضة المجتمعية التى حلت برحالها فى ربوع الجنوب يومذاك.

خلاصة:

- وضح جلياً من محتوى هذه الورقة ان بخت الرضا لعبت دوراً رائداً فى تكوين المجتمعات المتحضرة بما جاءت به لهم من علم ومعرفة وإبداع وأوفت بعطائها الثر للنهوض بالمجتمع السودانى.
- كما أظهرت الورقة الواجب الوطنى الذى وضع على عاتق المعلم فى تنمية وترقية المجتمع فكان هو المصلح الإجتماعى وقائد المجتمع الذى أعدته بخت الرضا فهرع المعلمون فى أداء واجبه الوطنى وتميزوا على الآخرين باعتلائهم أرفع المناصب.
- هذا البعث الروحى للمجتمع الذى دأبت عليه بخت الرضا ومنذ بزوغ فجرها والذى اثر كما وضح على شتى المجتمعات الحضارية والريفية كان لا بد ان نعيده لسيرته الاولى واحيائه

عبر شتى المؤسسات التعليمية للنهوض به فهي مسؤلية وطنية ومجتمعية تقع على عاتق الجميع.

- كانت لبخت الرضا روافد فى شتى مدن السودان بشندى، مدنى، الدنج، الابيض. وتقوم بنفس الدور الذى قامت به أهم الرءوم بخت الرضا تجاه المجتمع.
- أرى ادخال مادة التربية الوطنية فى المنهج الدراسى للتعليم العام حتى يلم الطلاب بالدور الرائد الذى قام به اسلافنا نحو مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة.
- هناك أصوات تنادى ببعث الروح فى بخت الرضا حتى تسهم فى تعزيز مهمة المسؤلية الاجتماعية – فهل من مجيب؟